﴿فقد جاء أشراطها﴾

خطبة جمعة

لفضيلة الشيخ الدكتور
مطلق الجاسر
- حفظه الله -

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد: قد كنا معشر الأحبة الكرام خلال الخطب السابقة في رحلة استكشفنا فيها من عجائب أخبار المصطفى ﷺ من أمور حدثنا بها ﷺ قبل ألف وأربعمائة سنة ونحن نراها اليوم رأي العين، وقد سمعنا في هذه الأخبار من العجائب التي إذا سمعها الإنسان في عهد النبي ﷺ فإنه سيقول إن هذا الرجل إما أنه نبي حقا أو أنه كاهن حقا.

وإذا تفكرنا وجدنا أن النبي ﷺ لو فرضنا أنه مدع كما يدعي الكافرون فما الذي يُلجئه بأن يقول هذه الأخبار؟ لم يكن مضطرا لها، وسيكون عرضة للتكذيب، لكنه الوحي من الله الذي يثبت لكل عاقل مسلم أن هذا الإنسان قد بعثه الله ﷻ وقد أوحى إليه بأخبار الأمم السابقة وبما سيكون في آخر الزمان.

ونختتم اليوم هذه الرحلة المباركة بأخبار لا تقل عجبا من أخبار المصطفى ﷺ التي أخبرنا بأنها ستقع بعد عهده، أخبار لو سمعها السامع في عهده لاستغربها، لكن الصحابة ﷺ لأنهم أيقنوا وآمنوا ورأوا من براهين نبوته ﷺ ودلائل صدقه صدقوا وأذعنوا، حتى جئنا نحن في هذا الزمان نقرأ ونسمع هذه الأخبار ونراها رأي العين، والأخبار في ذلك كثيرة لكني انتقيت منها واخترت بعضها حتى لا يطول بنا المقام والحديث.

منها: ما روى الإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه والطبراني في المعجمين الأصغر والأوسط والحاكم في المستدرك وجمع من أهل العلم بإسناد صحيح ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، وتأملوا معي في هذا الحديث، يقول: قال رسول الله ﷺ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزمان رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى سُرُوجٍ كَأَشْبَاهِ الرِّحَالِ، يَقِفونَ بها عَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ، ونِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، عَلَى رؤوسهن كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ».

وفي رواية الحاكم يقول ﷺ: «سيكون في آخر هذه الأمة رجال يركبون على المياثر نساؤهم كاسيات عاريات»، قال أحد الرواة يسأل أباه: وما المياثر؟ قال: سروجا عظاما، السروج هي ما يركبه الراكب في تنقله، كأشباه الرحال: الرحال

جمع رحل، ورحل الإنسان بيته وخيمته، وهل كان عند العرب سرج يشبه البيت يغطى على الإنسان كأنه بيت أو خيمة؟ لا، كانوا يركبون على الإبل ويركبون على الخيل وعلى البغال والحمير وهي معروفة لهم ومكشوفة.

أما سرج كأشباه الرحال يعني البيوت الصغيرة فهذا أمر لا يعرفونه، وهذا إذا تدبرنا في هذا الحديث سنجده واضحا نعرفه نحن ونراه بأعيننا، هي تلك السيارات والآلات التي يركبها الناس كأشباه الرحال، كأنها بيت صغير، يركبها الإنسان، ويؤيد ذلك الرواية الأخرى: يركبون على المياثر، والمياثر جمع ميثر وهي ذلك الكرسي الكبير المريح، وهذا إخواني الكرام إذا تأملنا هذا الحديث وتأملنا أنه في عهده ﷺ لم يكن هناك بوادر لوجود مثل هذا الرحل، لم يكن هذا الشيء، ولا يوجد ما يدل على وجوده حتى جاء بعده ﷺ بألف وثلاثمائة سنة تقريبا عند بداية اختراع تلك المراكب المغطاة.

يقفون بها على أبواب المساجد، وفيه خبر آخر هذا الحديث أن في آخر الزمان سينتشر التبرج وخلع النساء للحجاب، حتى نساء المصلين الذين يقفون ويصلون في المساجد ونساءهم كاسيات عاريات، فهذا الحديث فيه خبران عجيبان حدثنا عنهما النبي ﷺ قبل ألف وأربعمائة سنة.

يقفون بها على أبواب المساجد ونساءهم كاسيات عاريات، يعني أن التبرج والسفور سيعم وسيشمل حتى بيوت المصلين الذين يشهدون الصلاة وهم حريصون على دينهم ولكن نساءهم كاسيات عاريات، يعني تلبس لباسا لكنه لا يسترها كلباس بعض النساء مع الأسف الشديد إما لضيقه أو لقصره أو نحو ذلك.

رؤوسهن كأسنمة البخت، وفي ذلك تفسيران الأول: أنهن يعقد على رؤوسهن شعورهن فوق رؤوسهن حتى يكون كأنهن البخت أي الجمال، كأنه سنام جمل، وهناك تفسير آخر: رؤوسهن كأسنمة البخت، أي مرتفعة، فلا يوجد فيها حياء ولا خجل، بل تنظر إلى الرجال رافعة رأسها ولا تكف بصرها عند رؤية الرجال.

هذا الحديث من أعاجيب الأحاديث، إذا تأملنا ذلك وجدناه لا يخرج إلا عمن لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

كذلك من عجائب الأحاديث ما جاء في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لن تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا**»، وهذا الحديث يدل على أمرين، الأمر الأول: أن أرض العرب كانت في الزمن الغابر مروجا وأنهارا، والمروج هي المسطحات الخضراء، ومعلوم أن أرض العرب في عهده ﷺ إلى أيامنا هذه أرض صحراوية ليس فيها أنهار، وليس فيها خضرة ظاهرة، لكن أخبرنا ﷺ في هذا الحديث أنها كانت في يوم من الأيام مروجا وأنهارا وأنها ستعود كما كانت.

وفي مسند أحمد في حديث معاذ بن جبل ﷺ أن النبي ﷺ كان في غزوة تبوك في قصة طويلة حتى في آخر الحديث كان واقفا ﷺ بجانب معاذ بن جبل ﷺ في تبوك، فألقى نظرة على الأرض وقال لمعاذ: «**يا معاذ إن طالت بك حياة فسترى ها هنا مروجا وأنهارا**» في تبوك، أما الدلالة الأولى وهو أن هذه الجزيرة كانت مروجا وأنهارا فقد ثبت ذلك في الأبحاث الجيولوجية و أُعلن عن ذلك، وهناك تقرير بثته إذاعة BBC قبل أربع سنوات تقريبا أو خمس سنوات، بإمكانكم الرجوع إليه في مواقع الإنترنت.

تثبت اكتشاف بعض الأحافير والأجزاء لحيوانات لا تعيش إلا في الحشائش الطويلة، حشائش السافانا، مما يدل على أن هذه الأرض كانت في يوم من الأيام مروجا وأنهارا، كما اكتشفوا أيضًا أن في جزيرة العرب ممرات لأربعة أنهار في الزمن الغابر لا سيما في جنوب هذه الجزيرة العربية جعة الربع الخالي ونحوه، وجدوا آثار لأربعة أنهارا كانت تشق أرض هذه الجزيرة العربية.

وستعود هذه الجزيرة العربية في يوم من الأيام –الله أعلم متى– مروجا وأنهارا، وكلنا يرى في هذه الأزمنة التغير المناخي الذي يحصل لا سيما في شمال الجزيرة العربية، في المكان الذي حدَّث عنه النبي ﷺ معاذا أنه سيعود مروجا وأنهارا، حتى أصبحنا نرى ثلوجا تتساقط في شمال الجزيرة، مما يؤذن بتغير مناخي تتبدل فيه المناخ وتصبح الدول الباردة حارة والدول الحارة باردة، لكن متى ذلك؟ الله أعلم، لكننا على يقين بأن هذه الجزيرة ستعود مروجا وأنهارا كما كانت مصداقا لقول الصادق المصدوق ﷺ.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

أما بعد: من أعاجيب أحاديث المصطفى ﷺ ما جاء في مسند الإمام أحمد وغيره بإسناد صحيح أن النبي ﷺ قال: **«يوشك أن يخرج الرجل من بيته فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه عما أحدث أهله من بعده»** تأملوا معي هذا الحديث، وتأملوا معي لو كان النبي ﷺ لا يوحى إليه كما يدعي المدعون والكفار، ما الذي يلجئه لهذا الكذب؟ لا شيء، لكنه يوحى إليه ﷺ، وقالها عن ربه موقنا أنه سيأتي على الناس زمان يرون ما قاله ﷺ عيانا.

يوشك أن يخرج الرجل من بيته فلا يرجع حتى تحدثه نعله وسوطه عما أحدث أهله من بعده، يذكركم هذا بماذا؟ لو يسمع الإنسان هذا الكلام قبل ألف وأربعمائة سنة أن هناك أدوات ستكون معك إذا خرجت من بيتك ستعرف من خلالها ما يفعله أهلك في بيتك لاستبعد هذا الكلام جدا، لكن نحن في هذا الزمان نفهم هذا الكلام جيدا ونعرفه جيدا.

والسوط: هو ما يمسكه الإنسان في يده، وما هي الأشياء التي نمسكها بأيدينا وتحدثنا، لا فقط عما يحدث أهلنا من بعدنا، بل حتى عن الناس الذين في خارج هذه الأرض وخارج هذه البلاد؟

هذا الحديث يشير إلى أجهزة الاتصالات والهواتف بشكل واضح، وبذلك أفتى الشيخ ابن باز رحمه الله، قال: هذا الحديث يدل على هذه المسجلات والهواتف التي يعرفها الناس اليوم، بشكل واضح، حتى يحدث الرجل سوطه عما أحدث أهله من بعده، وهذا الحديث لا شك أنه مما فتحه الله ﷻ على نبيه ﷺ مما سيكون في آخر الزمان.

وكذلك مما جاء عنه ﷺ مما سيكون في آخر الزمان ما في مسند الإمام أحمد أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: **«من اقتراب الساعة انتفاخ الأهلة وموت الفجأة»** انتفاخ الأهلة: أي كبرها وعظمها، حتى يظهر الهلال أكبر مما كان معهودا، وموت الفجأة وفعلا موت الفجأة أن يكون الإنسان لا تظهر عليه بوادر المرض ولا يدخل في معركة يظن فيها أنه سيموت

ولا شيء من هذا القبيل، ينام ولا يقوم، يجلس فإذا به سقط، يمشي فإذا به سقط، وهذا أمر لا نظن أنه يخفى على أحد انتشاره بين الناس.

موت الفجأة، أصبحنا كل يوم نسمع عن موت فلان وعن موت الشخصية الفلانية وعن موت علان بأعمار مختلفة، الصغير والكبير، فجأة وإذا بنا نسمع موت فلان وعلان، وهذا مما حدثنا عنه النبي ﷺ مما سيكون بين يدي الساعة، وهذا يستلزم منا الاستعداد الدائم وعدم الاغترار بهذه الحياة، بل كما قال الله ﷻ في آية بليغة: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩] يعني الموت، والإنسان لا يدري متى يأتي الموت.

فمعنى الآية: اعبد ربك دائما، وكن مستعدا دائما، واسأل نفسك سؤالا هل الحال التي أنا عليها اليوم هي حال يرضيني ويسعدني أن ألقى فيها ربي وأن يختم لي بها أم لا؟ لا سيما في آخر الزمان الذي نحن لا شك نعيش فيه.

ولذلك يجب علينا إخواني الكرام بعد أن نتأمل هذه الأحاديث العظيمة فنزداد بها يقينا بصدقه ﷺ وبأنه يحدِّث ويوحى إليه من الله ﷻ، يجب علينا أن نستعد، فإننا في آخر الزمان، وعلينا أن نكون مستعدين للقاء الله ﷻ وأن نتوب إلى الله ﷻ من الذنوب، وأن نكون متأهبين للقاء الله ﷻ.

فأسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يعفو عنا وعن المسلمين، وأن يغفر لنا ذنوبنا، وألا يفتننا بفتن الشهوات والشبهات، وأن يرحمنا برحمته، وأن يحشرنا مع النبي ﷺ في زمرته تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنبا إلا غفرته، ولا عيبا إلا سترته، ولا هما إلا فرجته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة هي لك رضا ولنا فيها صلاح إلا يسرتها وأتممتها يا رب العالمين.

اللهم فرج هم المهمومين، ونفس كرب المكروبين، واقض الدين عن المدينين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين، وارحم موتانا وموتى المسلمين، اللهم أمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ووفق للحق إمامنا وولي أمرنا يا رب العالمين.

عباد الله: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.